

السياسة التعليمية أولا

محمد عزيز السجاعي

(أستاذ التربية الإسلامية بالقطيطة)

أرى من الضروري أن أتحدث عن الركن الأساسي في التعليم المنهجي، الركن الذي تتجلى من خلاله الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم، ألا وهو "السياسة التعليمية" التي أحسن تعريفها الشيخ عبد الرحمان حبنكة الميداني حيث قال: "يقصد بالسياسة التعليمية المواد الدستورية العامة للتعليم، وهي التي تبين الأسس العامة التي يقوم عليها، والتخطيط لإنشاء مؤسساته، وتبين أهداف العملية التعليمية، وتحدد مقاصدها، سواء أكانت هذه المواد مكتوبة معلنة بمقررات ومراسيم أو غير مكتوبة ولا معلنة، إلا أنها ملاحظة ذهنا لدى المشرفين على مؤسسات التعليم والمنشئين لها والموجهين لمسيرتها"¹... ويستطيع الباحث الخبير اكتشافها – إذا لم تكن مكتوبة ولا معلنة – من "الواقع الممارس في سائر أركان التعليم المنهجي، في الخطة الدراسية، والمنهاج، والكتاب، والمدرس، والبيئة التعليمية، وتصرفات الأجهزة الإدارية والتوجيهية وأنواع الأنشطة المرافقة للعملية التعليمية"².

لماذا التركيز على هذا الركن بالذات؟

الجواب: لأن عملية التنمية وبالخصوص تنمية الإنسان تصطبغ – حتما – بالمذهب الفكري السائد وبمنظومة القيم، التي تهيمن على الأفكار والنفوس في هذا البلد أو ذاك...

فالمجتمع الذي تسود فيه النزعة الاشتراكية أو النزعة العلمانية، أو النزعة الديمقراطية، أو النزعة الإسلامية أو غير ذلك... لا بد أن يجعل الهدف الأول في سياسته التعليمية هو تربية إنسان يحمل هذه النزعة أو تلك عن إيمان واقتناع...

¹ - غزو في الصميم، للشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ص: 13 - 14.
² - نفسه.

وعليه لا يمكن القول بحيادية التعليم، إن التعليم أفي كل بلدان العالم موجه وفق عقائد ومذاهب و(إيديولوجيات) ومفاهيم واضعي سياسته... أو الموجهين لها¹.

إنني حينما أتحدث عن تنمية الإنسان أقر مسبقا بوجود سياسة دقيقة توجه هذه التنمية بحيث تصوغ هذا الإنسان صياغة إسلامية أو علمانية أو شيوعية أو غير ذلك... كما تحدد تصوره للوجود والحياة والإنسان. وعلى أساس ذلك لا ينبغي استيراد نظريات التعليم كما تستورد السلع والبضائع الجاهزة خصوصا إلى البلاد الإسلامية، لأن ذلك يجعل جيل الشباب في هذه البلاد تماما كما وصفه شاعر الإسلام الدكتور "محمد إقبال" قال: (إن الشباب المتقف فارغ الأكواب، ظمآن الشفتين، مصقول الوجه، مظلم الروح... كليل البصر، ضعيف اليقين، كثير اليأس، لم يشاهد في هذا العالم شيئا، هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا رجال، ينكرون نفوسهم ويؤمنون بغيرهم، يبني الأجانب من ترابهم الإسلامي كنائس وأديارا، شباب ناعم، رخو، رقيق في الشباب كالحريز، يموت الأمل في مهده في صدورهم، ولا يستطيعون أن يفكروا في الحرية، إن المدرسة قد نزعت منهم العاطفة الدينية، وأصبحوا خبر كان. أجهل الناس لنفوسهم وأبعدهم من شخصياتهم، شغفتهم الحضارة الغربية... إن المعلم لا يعرف قيمتهم، فلم يخبرهم بشرفهم، ولم يعرفهم بشخصيتهم... إن الإفرنج قد قتلوه (أي قتلوا الشباب) من غير حرب وضرب، عقول وقحة، وقلوب قاسية، وعيون لا تعف عن المحارم، وقلوب لا تذوب بالقوارع، كل ما عندهم من علم وفن ودين وسياسة وعقل وقلب يطوف حول الماديات، قلوبهم لا تتلقى الخواطر المتجددة، وأفكارهم لا تساوي شيئا، حياتهم جامدة، واقفة، متعطلة)².

ويقول أيضا: (يتراعى لك الشباب المتعلم حي يرزق، ولكنه في الحقيقة ميت استعار حياته من الغرب)³.

¹ - نفسه.

² - نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية لأبي الحسن علي الحسيني الندوي. ص: 44 - 45

³ - نفسه.

والسبب في ذلك كله عدم الوعي الحقيقي بخطورة استيراد نظم تعليمية وتربوية من الشرق أو الغرب، وعدم التفكير بجديّة في وضع سياسة تعليمية تتجاوب مع روح الأمة، وتهدف إلى حماية أجيالها من الغزو الفكري والأخلاقي، كما تهدف إلى إعداد الإنسان المؤمن الحريص على دينه الصالح في دنياه. فلا بد من سياسة تعليمية تعتمد نظام الإسلام وتتبناه وتسعى إلى صياغة حياة شبابها وفق كتاب الله المجيد والسنة المشرفة (وما يستنبط منهما، وبذلك يتم التخطيط والتنمية في جميع النواحي).

ولقد صدق الداعية الإسلامي "محمد الغزالي" رحمة الله عليه حيث قال: "وأشعر في هذه الأيام بأن الحاجة ماسة إلى إحياء ثقافتنا الذاتية، وتنقية جوها وتوسيع دائرتها، فإن الاستعمار الثقافي الملحاح نجح في إعطاب شخصيتنا المعنوية، وفتنة أوف مؤلفة عن عقائدنا، وعباداتنا، وأخلاقنا، كما نجح في بلبله ألسنتنا، وطى شرائعنا، وتحقير شعائرننا، ودفعنا في المجتمع الدولي بلا صبغة حقيقية وهوية متميزة، وهذا هو الانهزام التام..!!"².

وعلاج هذا الانهزام لا يتم إلا عن طريق التربية والتعليم في المدارس والجامعات والمعاهد... ولا يتأتى ذلك إلا إذا اصطبغت السياسة التعليمية بالصبغة التي شرفت بها هذه الأمة □ صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون □³.

فمادامت "السياسة التعليمية" هي المهيمنة على جميع أركان التعليم المنهجي، فمن الواجب أن تتجه الأنظار إلى بنودها لجعلها إسلامية، تمتحي من المفاهيم الإسلامية النابعة من الكتاب والسنة والسيرة والتاريخ، وعلى أساس ذلك يمكن أن تتغير العملية التعليمية لتصبح المادة الإسلامية مؤثرة في المعارف، موجهة للعلوم بمختلف أنواعها، مقومة للنظريات... والأمر يحتاج إلى رجال أكفاء، كما يحتاج إلى وقت، فالزمن جزء من العلاج، والمهم هو أن تكون المنطلقات التي ننطلق منها والأهداف التي نريد أن نصل إليها واضحة.. وباختصار يجب أن تؤسس السياسة

² - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: 38.

³ - البقرة: 137.

التعليمية على الإسلام واللغة، كما كان الأمر في القرون الأولى والتي بعدها، ذلك أنه "من أربعة عشر قرناً والأمة الإسلامية لا تعرف التعليم إلا تعليماً يبدأ بالدين واللغة، شيء لم تنفك عنه أمتنا في القرون الأولى وفي القرون الوسطى، حتى جاء العصر الحديث ووجدت بدعة فصل التعليم الديني عن التعليم المدني أي وجد ناس يتعلمون الدين ولا يعرفون شيئاً عن الدنيا ووجد ناس يتعلمون الدنيا ولا يعرفون شيئاً عن الدين. فلا الذين عرفوا الدين وجاهلوا الدنيا انتفعوا بدينهم، ولا الذين عرفوا الدنيا وجاهلوا الدين انتفعوا بدينهم"¹.

وقام ذلك على سياسة التنفير من الدين واللغة العربية، حيث أهملت المعاهد الإسلامية وتجاهلها الناس لما رأوا من التفريق والتمييز بين مدرس المواد الإسلامية واللغة العربية، وبين مدرسي العلوم الأخرى مادياً ومعنوياً... بينما عدونا الأول في هذه الدنيا لم يخجل أن ينتسب إلى اليهودية، ولم يشعر بأي استحياء أو حرج عندما أعاد الحياة إلى اللغة العبرية، وأقام سياسته التعليمية على أساس ذلك. ولنتأمل هذا الكلام.

"إن أهم ما يسترعى الأنظار في المدارس الإسرائيلية في فلسطين أن لغة الدراسة في كافة المواد هي العبرية، ما عدا اللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية، والعناية شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية، وجعل التعليم الديني أساس الصهيونية وتقديمها. ويفهم من ذلك:

أن جميع المدارس الإسرائيلية أو اتجاهاتها تبعاً للأحزاب التي ينتمي إليها آباء التلاميذ - رغم اختلاف هذه الأحزاب في مثلها العليا التعليمية والدينية والسياسية - تلتقي على هذه الفكرة الأساسية، وتعنى عناية خاصة بالتربية الدينية، ويرى بعضها أن التقاليد الدينية اليهودية هي النبراس الذي ينبغي أن يستهدى به في نظم التعليم، ويحتم بعضها على المعلمين أن يكونوا تقليديين، أي أن يحرصوا على التقاليد اليهودية الأصولية"².

¹ - عن كتاب محاضرات الشيخ محمد الغزالي، ص: 112.

² - التربية في الشرق العربي للدكتور "رودريك ماثيور" والدكتور "متى عقراوي" الفصل السابع عشر، المدارس الإسرائيلية ومناهجها، ص: 354 - 355.

وجاء في مقال (التعليم العالي في إسرائيل) في مجلة فلسطين مقتبساً من الدراسة التي قدمتها دائرة البحوث والدراسات في الهيئة العربية العليا لفلسطين ما يلي:

(إن سياسة التعليم العالي تهدف إلى تنمية العقيدة اليهودية والولاء لها، بالإضافة إلى الدعاية لإسرائيل وكسب الأصدقاء). وفي المقال المشار إليه تفاصيل هائلة عن العناية باللغة العبرية وجامعاتها، وميزانيتها، وتمويلها، وما يبذل لها اليهود من عناية فائقة، وأموال طائلة وتنظيمات دقيقة¹.

ولابد في الختام أن أشير إلى أن ما قلته سابقاً له أصل في القرآن الكريم حيث قال عز من قائل: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)² تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم أربع مرات وهو يحدد طبيعة رسالتنا التي يجب أن ننهض بها.

ثلاثة عناصر يجب أن نقف عندها وقفة تدبر واستهداء:

- العنصر الأول: التلاوة (يتلو عليهم آياته) التلاوة هنا تعني عرض منهج، وإعطاء صورة شاملة للإسلام، التلاوة رسم للمنطلقات والأهداف وتحديد للسياسة التي ينبغي اتباعها.
- العنصر الثاني: التزكية (ويزكيهم) أي يربيهم، التزكية تعني تنمية الخصائص العليا للنفس الإنسانية بجمع أهوائها.
- العنصر الثالث: التعليم (ويعلمهم...) لا يمكن فصل التعليم عن التربية في الإسلام... ولا ينجح في رسم وصياغة سياسة التربية والتعليم إلا من كان مؤمناً ربانياً، متمسكاً بتعاليم الإسلام، حريصاً على تطبيقها على الوجه الصحيح... ذكياً مخلصاً سويماً من الناحية النفسية، قادراً على الاستنباط من مصادر التشريع الإسلامي.

¹ - عن غزو في الصميم ص: 20 - 21. ونحو التربية الإسلامية الحرة، ص: 76 - 77.

² - الجمعة : الآية 2.

الهوية الحضارية والتنمية

ذ. محمد احساين

(مفتش التعليم الثانوي

بنيابة الخميسات)

طرح الإشكالية:

موضوع التنمية أصبح من المواضيع المستأثرة باهتمام كل الفاعلين، في
الميادين الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والسياسية.. نظرا لما له من علاقة

بالإنسان والإنسانية في عصر سيطر فيه المنتج التكنولوجي على كل مجالات الحياة، وأصبح تأثيره واضحا على المنظومة الفلسفية والقيمية والتربوية والمعرفية للمجتمعات، وفي عصر عاصفة العولمة التي تحاول التعامل مع العالم كبضاعة طليقة من كل قيد، غير عابئة بالحدود والقيم والخصوصيات، متجاهلة ذاتية الأفراد والمجتمعات، غافلة عن هوية الأمم والحضارات مما حتم علينا طرح التساؤلات التالية:

– ما هي التنمية المنسجمة وخصوصياتنا الحضارية، والمؤدية إلى حضارة عصرية متوازنة، تحقق للإنسان سعادة الدارين؟
– إلى أي حد يمكن أن تستجيب التنمية لمطلب الهوية الحضارية، وما هي أبعاد هذه الاستجابة؟

– كيف يمكن بناء إنسان التنمية، وما دور التربية الإسلامية في هذا البناء؟ إنها تساؤلات تعبر عن إشكالية تؤسس لمداخلتنا هاته.
وتتبلور في السؤال الإشكالي التالي:

– هل بإمكان إنسان التنمية، أن يساهم في إنقاذ تنمية الأزمة، أو معالجة أزمة التنمية؟ وإلى أي حد يتدخل مطلب الهوية الحضارية في بناء هذا الإنسان؟
لكن لابد من الإشارة بداية إلى أن إشكالية التنمية لها أبعاد مختلفة ومتنوعة، ومعالجتها لا يقتصر بالذات على ما هو تربوي، بل هي نتاج تكاثف الجهود بين التربوي والاقتصادي والاجتماعي والإداري والسياسي... إنما وقع التركيز هنا على العنصر التربوي إيماناً منا أنه الجانب الفاعل الأساس والمؤثر أكثر في بناء الإنسان الذي هو وسيلة التنمية وغايتها.

وعليه فطبيعة الموضوع فرضت علينا اقتراح التصميم التالي:

- 1 – تحديد أهم المفاهيم: التنمية – الحضارة – الهوية.
- 2 – ماهية التنمية المطلوبة ومواصفاتها.
- 3 – عصرنا بين تنمية الأزمة وأزمة الهوية.
- 4 – التنمية ومطلب الهوية.
- 5 – إنسان التنمية ودور التربية الإسلامية في بنائه.

6 - اقتراحات.

1) تحديد المفاهيم الأساس:

– التنمية: لقد تعددت تعريف مصطلح التنمية بتعدد وجهات النظر والخلفية الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية المتحكمة في هذه الوجهات، ويمكن اعتماد التعريف التالي: "التنمية عملية مجتمعية واعية موجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي والاجتماعي تكون قادرة على تنمية طاقة إنتاجية مدعمة ذاتيا، تؤدي إلى تحقيق زيادة منتظمة في دخل الفرد وموجهة نحو تنمية علاقات اجتماعية – سياسية.

... وتستهدف توفير الحاجات وضمان حق المشاركة، وتعميق متطلبات الأمن والاستقرار"¹. فالتنمية هنا عملية هادفة تنطلق من وعي المجتمع بحاجاته وثقافته، وتعتمد في مسيرتها على ذاتية أفرادها، فهي عبارة عن "تفاعل الفرد والمجتمع والأمة مع البيئة بما فيها من قيم ومبادئ وسنن وموارد... إنها تعني أناسا يملكون المعرفة والوسائل اللازمة للتحكم على نحو أكبر بمقدرات حياتهم وتحديد أولوياتهم وتحسين مهاراتهم وتلبية احتياجاتهم ومتطلباتهم"².

– الهوية: في الفلسفة تعني "ما يجعل الشخص أن يكون هو لا سواه"³.

وهوية شخص أو مجتمع أو أمة هي مجموع السمات النفسية والاجتماعية والحضارية المميزة لهذا الفرد... ومن هنا فإن لكل حضارة هوية تميزها عن غيرها. فالهوية تحيل على الخصوصية وهي ضرورة لتحرير الأنا من سيطرة الآخر وضرورة للتمييز الحضاري والتحرر من سيطرته المادية والعلمية والثقافية دون إلغاء الاستفادة والتفاعل والتلاقح مع هذا الآخر، وبالنسبة للخصوصية الإسلامية فإن الهوية هنا تتجاوز النظرة السكونية الماضية التي تريد أن تبقى أسيرة الماضي وتجتر ما خلفه السلف، إلى هوية تجمع بين الثبات والتحول، ثبات على الأهداف والغايات، ومرونة في الوسائل والآليات، ثبات على الأصول والكليات،

¹ - عبد الله عزيز الجلال. تربية اليسر وتخلف التنمية - كتاب الأمة، ص: 13 (نقلا عن علي خليفة الكواري، سلسلة عالم المعرفة، يوليو 1985 الكويت).

² - وضع الأطفال في العالم، تقرير عن اليونسيف ص: 31. سنة 1989.

³ - معجم لاروس - المعجم العربي الحديث - خليل الجر، ص: 1263. مكتبة لاروس. باريس.

ومرونة في الفروع والجزئيات، ثبات في الأخلاقيات والدينيات، ومرونة في الماديات والدينيويات...

والفرد المسلم تفرض عليه هويته القيام بدوره في المجتمع، حتى لا يعيش متأخراً عنه أو على هامشه، والولاء لدستوره الرباني الهادي إلى الطريق السوي، وللغة العربية التي اختارها الله تعالى لغة القرآن، ثم انفتاحه على العالم.. ذلك أن الهوية الإسلامية ذات بعد ديني ثقافي – لغوي. عقائدي قومي – عالمي باعتبار أن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة عالمية تتجاوز الحدود القومية والحضارية.

– الحضارة: في مفهومها العام سلوك ونظام وقيم ومعان وأسس ومبادئ ومنظومات وطبيعة وحياة..... يزخر بها مجتمع ما وتسيطر على مجريات الأحداث فيه، يدعمها ويحافظ على بقائها عمل متصل وفعالية عالية.... يسهم فيها كل إنسان مؤهل بقدر طاقته وتأهيله... فيتطور الفكر ويتفاعل وتبرز المخترعات وتتطور الاكتشافات¹. إنها تفاعل بين عالم الأشياء وعالم الأشخاص في زمان ومكان. مما يضمن حفظ إثبات الذات على صعيد أشمل ويؤهلها للانخراط في الحدائث الكونية، وليست مقصورة على مجتمع معين، خاصة وأن حضارة اليوم تستوعب كل المنتجات الإنسانية المادية والفكرية والمعنوية لمجتمع معين كيفما كانت درجة ارتقائه في الزمن التاريخي (ما قبل تاريخي – تاريخي – حديث – معاصر...)، وهذا يؤدي إلى الانتقال من الحديث عن الحضارة بصيغة المفرد إلى الحديث عن الحضارة بصيغة الجمع (لكل شعب حضارته) أي من الحضارة الواحدة إلى الحضارات المتعددة. وطبيعي أن هذا التعدد يقتضي وجود خصوصيات حضارية نابعة من ذاتية المجتمع وهويته وارتباطه بهذه الهوية. وتبقى الحضارة ما بقي الإنسان متمسكا بهويته وخطوطها المتوازنة في روحه وبدنه، في دينه وتدينه، في توجهاته وتطبيقاته، في مقوماته ومدركاته ووسائله وغاياته في ضميره وسلوكه وشعوره وتسخيرها للكون². وحضارة الإسلام مرتبطة بمقومات ومنطلقات متجلية

¹ - محمود محمد صقر - دراسة في البناء الحضاري - كتاب الأمة: ص: 26. ط. 1، رجب 1409 هـ. الكويت.

² - نفس المرجع، ص: 122.

في كتاب الله تعالى وسنة رسوله واجتهاد مخلصي الأمة. ويوم يفقد المسلم ذاكرته الحضرية ويتخلى عن ذاته ويقطع صلته بقيمه الفاعلة... تزداد معاناته وتقل مناعته ويغترب عن هويته.

2 - ماهية التنمية المطلوبة:

إن ما يحقق للتنمية ماهيتها، هو مدى توافرها على المواصفات التي تجعل منها تنمية إيجابية منجدة منسجمة مع خصوصيات المجتمع المسلم وقيمه، ومهتمة بالإنسان في أبعاده المختلفة، ويمكن إجمال أهم هذه المواصفات فيما يلي:

— تنمية إيمانية هادفة: حيث التجربة الإيمانية تمنح التنمية وحدتها وتفردتها وشخصيتها وتماسكها، وتحميها من التفكك والتبعثر والانهيار... وتعطيها قدرات إبداعية أكثر وأعمق، لأن الإيمان الذي يقوم عليه بنيان الدين يجيء دائما بمثابة "معامل حضاري" يوجه التنمية في مسالكها الصحيحة، ويجعلها تنسجم مع حركة الكون والطبيعة ونواميسها، فيزيدها عطاء وإيجابية وتناسقا، كما يبعث في الإنسان الإحساس الدائم بالمسؤولية ويقظة الضمير، ويدفعه إلى سباق زمني لاستغلال الفرصة التي أتاحت له كي يفجر طاقاته ويعبر عن قدراته عن طريق القيم التي يؤمن بها¹. فعندما يصف الإسلام المؤمنين بأنهم "يسارعون في الخيرات" وأنهم لها سابقون" نلمس بوضوح فكرة الزمن ومحاولة استغلاله وحسن استغلاله، فالتنمية القائمة والمنطلقة من أساس إيماني هي تنمية في طريق التقوى، تقوى الله في منطلقاتها ومساراتها، وأهدافها يقول تعالى: (أقمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين، لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)².

— تنمية ذاتية جهادية: لأن مسيرة التنمية في أي مجتمع لا تكون راسخة الأركان عميقة الجذور فائضة المردود ما لم تكن نابعة من ذاتية ذلك المجتمع متطابقة مع تصوراته متمشية مع احتياجاته... كما أن التنمية لا يمكن أن تخدم

¹ - عماد الدين خليل - حول إعادة تشكيل العقل المسلم - ص: 116. ط: 2 رمضان 1403 هـ. الكويت.

² - التوبة: 109 - 110.

مجتمعها إلا إذا تمت داخل إطاره المجتمعي المحدد، الذي يعكس قيمه وأخلاقياته ومبادئه وعاداته¹. وما دامت التنمية هي تطور وتطوير وخلق وإبداع، فإنها تعتمد أساسا على الذات القادرة على تحقيق هذا النمط من التنمية والتحكم في مسارها. وبالتالي فهي تنمية جهادية تستلزم بذل الجهد واستفراغ الوسع وبذل الطاقة وتحمل المشاق.. خاصة وأن التنمية المنطلقة من الخاصية الإيمانية يكون هدفها رفع راية الحق وجلب الخير ومطاردة الباطل وتقوية المسلم للقيام بمسؤولية الاستخلاف.. ومن هنا يمكن اعتبار التنمية فرضا على كل مسلم مكلف، وهي من فروض الكفاية التي تتعلق بإصلاح النظام المعيشي، فالتنمية قضية تستلزم الإيمان بها والجهاد من أجل تحقيقها.

– تنمية مستمرة: تنمية مخططة من أجل احتواء كل الظروف وتجاوز

الأزمات، وتهتم بتلبية احتياجات الجيل الحالي دون إتلاف موارد الأرض بطريقة تحول دون تلبية احتياجات أجيال المستقبل². إنها التنمية التي تقوم على برامج من شأنها "تحسين نوعية حياة البشر ضمن قدرة التحمل الراهنة لنظام دعم الحياة فوق كوكب الأرض"³. والتنمية المستمرة والمستديمة تؤكد كذلك على تكافؤ التنمية بمعنى أنها تهتم بردم الثغرة الفاصلة بين المناطق الغنية والمناطق الفقيرة باعتبار ذلك سبيلا مهما لكفالة تلبية احتياجات أجيال اليوم وأجيال الغد على السواء.. إنها تنمية لا تتوخى تحقيق قدر من المنافع للفقراء في أوقات الرخاء الاقتصادي، وتوقع بهم أشد العقاب في الأزمنة الاقتصادية العصبية.. إنها تنمية مستمرة باستمرار المجتمع.

– تنمية شمولية متكاملة: إنها عملية شمولية متعددة الواجهات والأبعاد،

ولا يمكن تحقيقها بالتركيز على عنصر أو أكثر من عناصرها، كما لا تقتصر على النمو الاقتصادي والاجتماعي كمقياس لها، بل بالتركيز على عملية التغيير المجتمعية الواعية ذات الأبعاد التربوية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والإدارية.. فهي تنمية تهتم المجتمع ككل، ومن مسؤوليات وواجبات كل

¹ - دراسة في البناء الحضاري، مرجع سابق، ص: 53.

² - الأمم المتحدة، مجموعة مواد تعليمية للمدارس الثانوية. ص: 16.

³ - نفس المرجع والصفحة.

أفراده ومؤسساته ومنظماته.. مع ضرورة التناسق بين كل هذه المكونات. والتنمية من منظور الإسلام تتخطى حدود المفاهيم المادية التي تقتصر على التقدم الاقتصادي والاستعلاء العسكري وما يرتبط بهما من زيادة الإنتاج وتنشيط عمليات التصنيع والسيطرة على الأرض.. لتشمل جميع أبعاد النمو الشامل والمتكامل للإنسان أفرادا وجماعات، نموا متكاملًا لمختلف المواهب والملكات. ابتداءً بالقدرة على توجيهِ الاحتياجات المادية وانتهاءً بتطلعاته الروحية والفكرية والأخلاقية والغيبية التي تعينه على تحقيق ذاته عبداً لذلك الخالق العظيم¹.

— تنمية علمية عملية ملتزمة: تنمية تقوم على تطور علمي وتقني، تنطلق

من اكتساب مجموعة المعارف والخبرات والمهارات اللازمة للتصنيع والإنتاج والصيانة وتطوير مجالات الحياة، بغية تطبيق المعرفة العلمية، وتوظيفها عمليا في الدفع بعجلة التنمية التي تحتاج إلى تنمية التفكير العلمي لدى الأفراد بكيفية تمكنهم من تقبل العلم والتكنولوجيا، وإدخالهما في الحياة العملية بصورة واعية، والتزام أخلاقي روحي يكون الضابط لعدم استخدام معطيات العلوم والتقنية في أعمال الهدم والتفسيخ والانحلال والدمار.

إن التنمية المأمولة تنمية تنصت جيدا لصوت القرآن الكريم وهو يحث المسلم على معرفة الكون — المعرفة العلمية بظواهر الكون التي منها تولد العلوم، مما يجعل المسلم يعيش عصره ويدخله مقبلا عليه بقلبه وعقله لا رافضا أو نافرا ولا منبهرًا مشدوها.. بل مشاركا في بنائه ونشاطه².

— تنمية منفتحة: تنمية تتطلع إلى غد أفضل وتؤمن بمستقبلية الإسلام، غير

غافلة عن تجارب الآخرين، مستفيدة من إيجابيات العصر وما حققه من تقدم إيجابي، تنمية تقف من الآخر موقف التلميذ الباحث عن الحقيقة المتطلع إلى معرفة كنه الأشياء لا موقف الزبون المستهلك للأشياء.

3 — عصرنا بين تنمية الأمة وأزمة الهوية:

¹ - زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، كتاب الأمة، ص: 72. ط. 1 - 1409، الكويت.

² - الإسلام والمستقبل، تقرير اللجنة التحضيرية العليا لمؤتمر القمة الإسلامي الخامس. الكويت، 1987.

إننا نعيش عصرا متميزا في تاريخ التقدم البشري، عصر التكنولوجيا الصناعية والإعلامية والحربية... التي تحمل معها كل يوم وليدا جديدا، حتى أصبحت الصفة الأساسية لهذا العصر هي التغير وسرعة التحولات في النظم الاجتماعية والاقتصادية، وما لها من تأثيرات على القيم والأخلاق والمبادئ... وأصبح الغرب اليوم عملاقا مندفعاً باستمرار بفضل هذا التقدم التكنولوجي والصناعي والإعلامي، وفي غياب عنصر الالتزام الروحي والأخلاقي الموجه لهذا التقدم، أصبح الإنسان الذي سعى في هذا التقدم غير متحكم في مساره وما قد يحمله من أزمات كأنه أصبح إنسانا آليا يحقق حضارة الإنسان في غيبة الإنسان، حضارة تتحرك على حساب الآخر. مما جعل عمداء الفكر والفلسفة في القرن 20 يجمعون على بروز مآزق حضاري جاء نتيجة ما أصاب إنسان العصر من حيرة وقلق واكتئاب¹، إنه تقدم يحمل كثيرا من الإيجابيات في عالم الأشياء، والتي لن ينكرها أحد؛ لكنها أصبحت أشياء الإنسان تتقدم على حساب الإنسان ذاته، لأنه أهمل إنسانية الإنسان وتنمية خصائصه وصفاته وتكوين ذوقه العام وتطهير وجدانه والارتقاء بنظرته للحياة.

إن التقدم العلمي والتقني وما رافقه من اضمحلال الوازع الديني وجفاف النبع الروحي وفقدان الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في هذه الحياة، أضاف إلى الثراء المادي تحللا وفسخا وانحطاطا وتمييعا مما جعل الكثير من هذه المجتمعات المتقدمة أصبحت تتآكل من الداخل من جراء الاستخدام غير المنضبط بأية قيمة دينية أو أخلاقية. وأدى بالتالي إلى استنزاف الموارد وإهدار الطاقات وتلويث للبيئة واختلال الاتزان المناخي للأرض والإشعاعات المهلكة والأمراض المستعصية (جنون البقر، الحمى القلاعية) والعبث بقضايا الهندسة الجينية وتكديس الأسلحة المدمرة... وطبيعي أن تؤثر هذه السلبيات على المجتمعات المتخلفة والتي بحكم ظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية لازالت تابعة متابعة المغلوب للغالب. وهنا نجد أنفسنا نعيش موقعا حرجا في السباق المستقبلي. مما جعل واقع المسلم منذ بداية عصر التكنولوجيا يتأرجح بين خيارين.

¹ - الإسلام والمستقبل - رشدي فكار - تقرير المنظمة، مرجع سابق ص: 275.

- نماذج فلسفية حية ذات أنظمة معاصرة مسيطرة على الحياة العملية.
- نموذج نظري لا يشفع عنده إلا تقديس ورثته وتاريخ درسه ولم يستوعبه.
- فكان الازدواج في الشخصية الإسلامية كصورة للتوافق النفسي والاجتماعي للخروج من هذا المأزق، وسارت تلك الازدواجية عبر الأجيال لتؤثر في هويتها حيث قلت فيها جرعة التوحيد ويزاد من جرعة التشريك أو التغريب¹. مما جعل الأمة الإسلامية اليوم تشكو من ضعف الأساس في وضوح هوية أبنائها وعدم اعتزازهم بانتمائهم لها. ومما عزز هذا الضعف العوامل التالية:
- تفشي الأمية بين أمة الإسلام التي كانت عبر التاريخ تحارب الجهل.
- غياب الحس الديني، وغياب فكر الثواب والعقاب عن أجواء البحث العلمي التجريبي، وعن الحياة العملية والنقل الحرفي للعلوم الإنسانية والاجتماعية السائدة في الغرب.
- التقليل من شأن اللغة العربية وفي مقدرتها على استيعاب شروط التنمية.
- هجرة الكفاءات والسواعد والأدمغة وتحويل المخزون العقلي للأمة إلى ميادين الإنتاج في أمم أخرى قد تكون معادية للهوية الإسلامية.
- قيام مؤسسات علمية وتقنية في الدول الإسلامية على أنماط مستوردة مما يؤدي إلى غربة هذه المؤسسات في بيئاتها وغرابة خريجها.
- التناقض المعيش بين القيم والاتجاهات الإيجابية المضمنة في المناهج أحيانا وبين الممارسات السائدة في المجتمع.
- النظر إلى التربية بمعزل عن القطاعات الأخرى وتقديمها على أنها خدمة استهلاكية.
- تشويه الثقافة الأصلية للأمة واختزالها في مظاهر احتفالية بعيدة عن الإسلام.
- الضغوط التي تمارسها الحضارة الغربية بإنتاجها المادي ووسائلها الإعلامية على الفرد والمجتمع المسلم، والتي تحمل في بعض ثناياها تعارضا صريحا مع أمر الله.

¹ - إبراهيم محمد الخليلي، الإسلام والمستقبل، التقرير السابق، ص: 56.

– تبني النظم التعليمية المستوردة وابتعاد المناهج التربوية في إطارها ومحتواها عن الواقع الإسلامي، والحرص على المتابعة الشكلية للدول المتقدمة في أساليب التربية والتعليم دون فحصها وغربلتها وعرضها على قائمة القيم الإسلامية.

– التعريض المبكر للنشأ لمؤثرات لم تصمم له، ولا تناسب هويته العامة التي سيصاغ عليها، بل سنتشوه هذه الهوية وتعمل على تدميرها وإزالتها.

– عدم بروز حقيقة التربية الإسلامية في سلوكات أبنائنا، لأن كثيرا مما يرد في الكتب المدرسية لا يتصل بحياة التلاميذ المعاصرة وينحصر في أغلب الأحيان في دوائر الماضي دون بذل جهد واع لإظهار الالتحام الذي يجب أن يكون بين عناصر الماضي ومتغيرات الحاضر من أجل بناء المستقبل.

4 – التنمية ومطلب الهوية:

بما أن الأفكار والتطورات لا تورث مع الأرض وإنما هي مهمة كل جيل في مجتمع معين، فإن ما ينتج عن هذه الأفكار وبلورتها إلى عمل منتج لا يمكن أن يأتي من خارج هذا المجتمع، ولا يمكن التأسيس لحضارة حقيقية عن طريق تقديم تكنولوجيا مجلوب ولا عن طريق تنمية اقتصادية ومادية لا تعي ذاتها أو ارتقاء في خط من التقدم لا يدرك ذاته¹. إن منطلق التنمية قيم واعية وتبين للأهداف، وإيمان أبناء التنمية بالتنمية التي يخلقونها هو الذي يفجر الطاقات الكامنة، لأن التنمية روح تعصف في ضمير الأمة تدفعها إلى العطاء، وليست هياكل ونماذج تنقلها إلى مجتمع أحوج ما يكون إلى أن يؤمن بحضارة يشعر أنه خالقها ومنبتها من خلال كيانه ووجوده دون إهمال تجارب الآخرين². خاصة وأن الواقع الإنساني لا يمكن تفسيره على أساس معادلة واحدة، بل هناك المعادلة البيولوجية التي تسوي بين الإنسان وأخيه الإنسان إلا فيما فضل فيه الله بعض الأفراد عن الآخرين (الموهبة الربانية) والمعادلة الاجتماعية التي تقر باختلاف مجتمع عن آخر ومن

¹ - عبد الله عبد الدايم، الثورة التكنولوجية في التربية العربية، ص: 96.

² - نفس المرجع والصفحة.

عصر لآخر حسب درجة التقدم والنمو، وعليه فلكل مجتمع سمات وخصائص تمنحه هويته وذاتيته والمتمثلة في ثقافته ودينه ولغته ووعيه... والالتقاء إلى الهوية الإسلامية يحيلنا إلى مقوماتها الأساسية: الدين واللغة، فالدين الإسلامي الذي يقوم على كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، والشهادة بها كأصل ثابت في حياتنا الدينية والثقافية، يقدم للذات المسلمة منهاجا إلهيا في حياته يجنبه تعدد المعايير من خلال ما يستخلصه الإنسان من أحدية الله كمبدأ يضره ليكون مرجعه في مسلك حياته، ومن فلسفة الشهادة الاعتراف بوجود الذات الإنسانية الشاهدة والمحددة لهويته والمسؤولة أمام الله والناس، فالدين كأحد مقومات الهوية نظام في المعرفة ونظام في المسؤولية الشخصية يكتسبه الإنسان وهو على وعي تام بقدراته العقلية وباستخدام هذه القدرات استخداما كاملا لتنمية قواه وتنمية مجتمعه¹.

واللغة كظاهرة اجتماعية مرتبطة بالمجتمع وتعكس أنماطه الثقافية، وتعمل على تحقيق التماسك بين أفراد المجتمع خاصة في المجتمعات الإسلامية المؤمنة بالقرآن الكريم، الذي أنزل بلغة عربية ازدادت معه قوة وبلاغة. ومن هنا فإن الاعتزاز بلغة القرآن والعمل على تفعيلها في الحياة العلمية والعملية من شأنه أن يرشد عملية التنمية وتسريعها.. مع العلم أن تكريس اللغة الأجنبية لا يساهم إلا في تغريب العلم والعلماء واغتراب التنمية. فاللغة العربية تعد ملكا حضاريا وتراثا فكريا لكل شعوب الأمة، وهي مما يساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية والوحدة الروحية.

والتمسك بالهوية يؤدي إلى تبين الموقع الذي يوجد فيه الإنسان، واعتراف بالذات والآخر يقوم على المعرفة، ذلك أن معرفة الذات ومعرفة الآخر شرطان أساسيان لوعينا بعوالم ضعفنا وقوتنا وأسباب العطالة التي نعانيها، وعندها يقع التفكير في العمل والإبداع والعطاء... فالعطاء لا يتم إلا بعد إدراكنا لعوامل العجز والشلل ونبذ العقلية الاستهلاكية². والوعي بفلسفة البدء الحضاري، لأن الأمة التي

¹ - علي عيسى عثمان، الفكر العربي، مجلة الإنماء العربي، ع: 21، ص: 281. يوليو 1981.
² - محسن المبلي - ظاهرة اليسار الإسلامي، ص: 170، سلسلة المنتدى، ط. 1 - 1993. دار النشر الدولي - الرباط.

تؤمن بهذه الفلسفة لا يمكن أن تنطلق من علم الحاجات والترف والتسابق الاستهلاكي الذي لا يساعد على قيام قوة إنتاجية محلية، لأن الترف بطبعه يثبط الهمم عن التعلم والتدرب والتمهن. ويسطر لنا الرسول (ص) هذه الفلسفة عندما يقول للصحابية: "إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة" لأن التسابق في عالم الأشياء لا يتيح لنا فرصة للتعمق في التقنية الغربية الضاغطة ولم يعطنا فرصة لتعلمها، حيث أصبح الإنسان يستكثر من الأشياء، وتكدست البيوت بثمار التقنية، فتركزت ظاهرة الركون والإخلاء المتصل لعالم الحاجات، وما عادت النفوس قادرة على السيطرة على رغباتها، لأن كثرة المنتجات المستوردة لا تزيد شبابنا إلا من توسيع ساحة وقت الفراغ، وتفتح عليه سبل غواية الشيطان وتلحق بالفرد والمجتمع العطالة والكآبة والملل والضياع... إن مطلب الهوية الحضارية يأبى الاتصياح لفكر المورد والانطلاق من منطق، والذي يريد فرضه على المستورد. ومخالفة هذا يعد من باب إقامة المصالحة بين "الناجز" و"العاجز" بين "العالم" و"اللاعالم"... وهذه المصالحة وهم نتصوره في إيديولوجيا "التقدم من فراغ" أو "الإثراء من الخارج" والواقع يؤكد أنه يمكن استيراد بعض المنتجات ضمن عملية تبادل غير متكافئة ومحدودة بحدود مصالح المورد لا المستورد، لكن العقل العلمي لا يمكن استيراده معلبا مقولبا، بل يكون ويستنبت في مجتمع وأمة تأخذ بأسباب التنمية والتقنية، إن التنمية بذور تستنبت فتنمو في أمة قد أعدت لها أرضا وتموت في أمة أهملت رعايتها وانسلخت عن هويتها. وما يسمى بنقل التنمية وهم آخر وفرية كبرى صدقتها الشعوب المتخلفة؛ لأن التقنية تستنبت بالمجاهدة وتستوعب بالمشاورة¹.

إن مطلب الهوية الحضارية يجعل الإنسان المسلم يعيش في الداخل الإسلامي بأفكاره ومسالكه ورؤيته في النهوض والإصلاح، الإنسان الذي يعيش عصره غير منقطع عن ماضيه ومتطلع إلى مستقبله، إنه الإنسان الذي يتمثل شخصيته الحضارية ويستوعب إنجاز السلف ويدرك رسالته في هذا الكون. إنه إنسان التنمية الذي تسعى التربية الإسلامية إلى تنشئته وتكوينه.

¹ - دراسة في البناء الحضاري، مرجع سابق، ص: 84.

5 - بناء إنسان التنمية ودور التربية الإسلامية في هذا البناء:

وإذا كان الإنسان هو الركيزة الأساس لكل مشروع تنموي، والوسيلة الفاعلة في التنمية وهو غايتها ومبتغاها. فلا بد إذن من جهود حقيقية لبناء إنسان التنمية، الإنسان الذي يعيش في الداخل الإسلامي بإحساسه. وعواطفه بلغته وأصالته بآماله وطموحه بهويته وتطلعاته.. الإنسان الذي يسعى دوماً إلى التغيير والتطوير الذاتي قبل تغيير ما حوله مصداقاً لقوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)¹. حيث يؤكد الإسلام على قانون "التغيير" الذي يعني إعطاء الفرصة للإرادة البشرية المؤمنة لصياغة مصيرها لتنتصر على التحديات ولاستعادة القدرة الأبدية على التجدد والتطور والبناء والإبداع.. والتغيير هنا ينصب على الذات المسلمة في إطارها الفردي بالدرجة الأولى ثم ينسحب على الجماعة².

ولا شك أن بناء هذا الإنسان وتكوينه وتدريبه في مختلف أبعاده إشكالية كبرى مطروحة على كل المؤسسات الاجتماعية وخاصة التربوية منها كالأُسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والجمعيات والهيئات والمنظمات... وتأتي التربية كأهم عامل في إحداث التغيير المطلوب في الذات وفي المجتمع، ويمكن إجمال دور التربية الإسلامية في بناء إنسان التنمية في النقاط التالية، معتبرين أن مفهوم "التربية" يتكامل مبنى ومعنى مع مفهوم "الإسلامية" لأن التربية خارج إطار الإسلام ومقاصده تصبح غريبة عن المجتمع الإسلامي.

- تشبع في المتعلم البعد الإيماني الذي يؤطره في حياته اليومية، فيتخلق بأخلاق القرآن ويحس بأنه صاحب رسالة يؤمن بها ويعمل جاهداً من أجل تبليغها.
- إعادة صياغة الشخصية المسلمة والارتفاع بها إلى سوية الإنسان المنتج، وتغيير صورة الإنسان المستهلك عن ضميرها ومناخها الثقافي، والتركيز على عنصر التكليف على إنسان الواجبات لا إنسان الحقوق.
- توظيف المعرفة الإسلامية من أجل التنمية وتوجيهها، باعتبار أن العلم محاولة بشرية لفهم الكون ورصد حقائقه واستقراء سننه.. وتحسيس المتعلم بأن

¹ - الرعد. 11.

² - حول إعادة تشكيل العقل المسلم - مرجع سابق. ص: 140.

المعرفة عملية متنامية في محاولة الوصول إلى الحقيقة المطلقة، ومنتهاها قول الحق سبحانه وتعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله)¹. ومدى ما يمكن أن يحققه ذلك في المجتمع من تقدم مادي، وانضباط سلوكي، والتزام أخلاقي، وفهم عميق لحقيقة رسالة الإنسان في هذا الوجود.

— إبراز الخصوصية التربوية في تنشئة الطفل المسلم، والوعي بالأسس السيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية... والعلوم الإنسانية والتربوية، لأنه لا يمكن أن ننظر إلى الطفل بمعيار من لا يزال يرى أنه من سلالة القرود، أو من يقرر أن علم الاجتماع يقوم على التصارع والتطاحن بدل التراحم والتكافل...

— ترسخ في إنسان التنمية سلوكا، يقوم على إدراك المعنى الاجتماعي والخلقي والفكري والروحي والإنساني للتقدم، والدمج الوثيق بين حركة التقدم التقني وحركة التقدم الاجتماعي والروحي.. إنها تساهم في تنمية القيم الإنسانية العميقة والإيجابية التي تخدم التنمية المستدامة وترسخها وتحافظ عليها.

— تأصيل الانتماء وهو أخطر قضية ينبغي التركيز عليها في مجال تربية الطفل المسلم، خاصة قبل أن تنضج مداركه وتصبح المرجعية الإحالية أو القيم المرجعية الدينية، واضحة وثابتة بما يجب أن يتلقاه من دروس، وما يجب أن يشاهده ويسمعه ويقراه من نماذج من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي..

— الرغبة في العلم والتعلم وتقديس العمل التنموي. لأن الإسلام عقيدة وعلم وعمل، حتى يقبل على الممارسة الواعية بكل جوانب نشاطه، وانطلاقا من فقه آيات القرآن وهدى النبوة، من إدراك علل الأشياء، وكيفية التعامل مع الأسباب وسنن التغيير، انطلاقا من جهاز مفاهيمي يرتكز على المصطلح الإسلامي، الذي يختلف عما نسمعه اليوم من "غزو" الفضاء و"قهر" الطبيعة و"محاربة" الجفاف...

— تدريب المتعلم على التعامل مع المادة التعليمية انطلاقا من منهجيات محددة وهادفة، مع تزويده بأساسيات منهجية، تساعد على التعلم الذاتي، وفحص ما يقرأه، وغربلته وفهمه، وحسن التعامل معه، وعرضه على معيار الشرع، من

¹ - محمد 19.

خلال وقوفه على اجتهادات السلف في هذا الاتجاه، وتعرفه على خصوصيات المنهج الإسلامي الذي يتجاوز المناهج المادية والمثالية. من كل ما سبق يبدو جليا أن الهوية الحضارية، شرط لازم لقيام أية تنمية، وتجذرها وسلامتها من الأزمات التي قد تعصف بها، وعليه وفي الإطار التربوي يمكن تقديم الاقتراحات التالية مساهمة في إنجاح كل مشروع تربوي يتوخى تكوين وتأهيل إنسان التنمية:

6 – الاقتراحات:

– اعتبار المادة الإسلامية روحا تسري في جميع المواد، وإقامة مصالحة بين الدين والعلم، تحقيقا لمبدأ التوحيد ووحدة المعرفة، وتوظيف العلوم الطبيعية وغيرها في بناء إيمان إنسان التنمية، وتسخير العلوم الاجتماعية والإنسانية في تطوير البيئة الملائمة للإنسان، واعتبار أن أي فصل في هذا المجال أو تقسيم تعسفي في المواد والعلوم قد يؤدي إلى انفصام في هوية المتعلم.

– مراعاة المبدأ السابق في جميع المناهج الدراسية، من حيث تأليف مفرداتها، وصوغ محتوياتها، وتحديد أهدافها، وصوغ كل هذه المعطيات من منظور إسلامي، وتخليص هذه المناهج من بعض الاتجاهات التغريبية، التي تحاول تكريس مادية العلم ونفعيته.

– تضمين المناهج معلومات ومعارف عن العالم الإسلامي، عن ماضيه وحاضره ومستقبله، وما ينتظره من تحديات روحية واجتماعية وعلمية وتقنية... والتركيز على بعض النماذج من الفكر الإسلامي، لتدعيم عنصر القدوة في التربية كابن خلدون، والقاضي أبو يوسف في الاقتصاد، وابن الهيثم والبيروني في الفيزياء، والخوارزمي وجابر بن حيان في الرياضيات... بدل التركيز على مارك و آدم سميث ونيوتن وياسكال...

– الاهتمام بفترة تأسيس شخصية الطفل المسلم خاصة في مراحلها الأولى، حيث الحاجة تدعو إلى وجود حضن دافئ وقلب حنون، والإشباع العضوي والعاطفي... لأنها مراحل تنعكس آثارها على مستقبل الشخصية، من حيث ثقته بنفسه وبمن حوله ومدى انتمائه وهويته، واعتزازه بهذا الانتماء هو العامل

الأساس في خدمة التنمية، ولاشك أن الأم والأسرة هي المؤسسة المؤهلة أكثر لهذه الرعاية، وبدونها قد يتعرض الناشئ مبكراً لمؤثرات لم تصمم له ولا تناسب هويته. – الاجتهاد في تنشئة الطفل المسلم تنشئة تتجاوز الوصفات المستوردة، إلى نموذج التنشئة الذي أرساه الإسلام، وهنا لابد من حضور التصورات العقديّة التي يسعى المربي المسلم إلى إرسائها في شخصية الناشئ المسلم، مما ينعكس على مستوى توافقه النفسي والاجتماعي والبيئي.

– ضرورة ملاءمة المادة التعليمية لمستوى المتعلم، ومستوى تنمية قدراته العقلية والإبداعية مبنى ومعنى، مادة وطريقة، فالمادة العلمية كثيرة وغزيرة خاصة في العلوم الإسلامية، لذا فالضرورة تدعو إلى إعطاء المتعلم الأسس والمبادئ والمناهج القاندة إلى تعلم ذاتي أوسع وأعمق.

– الاهتمام بما ينمي عقل الناشئ، لأن العقل مناط التكليف، والأمة إنما انحدرت بانحدار أداء العقل وتخلفه عن أداء السابقين، واختفاء نمط العلماء ذوي الدراية في استخدام عقولهم ومفاعلتها بالواقع. ذلك أن العقل المسلم يتوسط العلاقة بين الوحي والواقع، يدرس الواقع ومتطلباته، ويدرس الوحي وتشريعاته، ويسعى إلى صياغة نظرية وطريقة تطبيقية يتلاءم فيها الواقع والوحي.

فالفقه مثلاً يربط عملية التفكير المنهجي بالأصول، مع ملاحظة التطورات والمستجدات التي كان دائم التفاعل معها. لقد كان الفقه الإسلامي دائماً يقدر التغيير المجتمعي ويشرع له، لذا نجد أغلبه مما تنهض به الطاقات الإنسانية الصانعة للتنمية، وأكثر أبواب الفقه وقضاياها تنعكس عليها آثار تلك الطاقات فيما تمارسه من عمل سواء في الزراعة أو التجارة أو الصناعة وما يصاحب ذلك كله من عقود وديون وارتهان واستئجار واستبضاع...

– إقامة منظومة تربوية تنطلق من منظومة القيم الإسلامية، وتعديل الاتجاهات بما يتناسب ومتطلبات التنمية: تعزيز قيمة العمل – دعم الاستقلالية في التفكير – نبذ التفكير الخرافي – نبذ الاتكالية والنزعة الاستهلاكية، تأكيد دور الفرد والجماعة في البناء – إطلاق الطاقة الإبداعية – تنمية قدرات الملاحظة والتجريب والبحث والتعليل والتركيب والاستقراء... حتى يكون النظام التربوي في مستوى

مسؤوليته عن حياة الإنسان، وعن نموه في العلم والمعرفة، وفي تسخيرها للاستفادة والإفادة من النعم التي أصبغها الله على عباده.. وعن تأصيل الاتجاهات الخلقية والوجدانية والنفسية...

– الاهتمام الجدي بإشكالية تعريب المؤسسات والمرافق العمومية والخاصة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية.. والإسراع بالتعريب الشامل للتعليم العالي الجامعي، الذي لازال يواجه صعوبات لأبناء العروبة والإسلام، ويشككهم في مقدرتهم وهويتهم الإيمانية. فاللغة كظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تكون محايدة، والدراسة والتعلم عملية مستمرة من المهد إلى اللحد، ولا يمكن أن يتم التفاعل المنشود بين العلوم والمعارف إلا بلغة الواقع، التي تساهم في تعاون العاملين والمنظرين، في تكييف التكنولوجيا الزراعية والصناعية والإعلامية، لتلائم أوضاعنا الاجتماعية والثقافية.